الأقوال الواضحات

في وجوب البعد

عن الشهوات والشبهات

للشيخ الفاضل أبي محمد

عبد الحميد بن يحيى الحجوري الزعكري حفظه الله

الحمد الله و الصلاة و السلام على رسول الله و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده و رسوله الحمد الله الذي أعانني و وفقني لزيارة أخواني في هذا المسجد الطيب المبارك الجامع الكبير في بريقة في هذا اليوم ال ٢٠ من شهر شعبان لعام ١٤٣٨هـ ومن منة الله عز و جل علينا أن لا نزور أخواننا في هذه المدينة الطيبة إلا و يقع في هذا المركز مجلس أو محاضرة أو نحو ذلك و هكذا يقع في غيره من المراكز

عباد الله إن هذه الزيارة لطالما إستشرفنا لها لأنها الزيارة الأولى من أواخر عام ١٤٣٥ هـ فلنا من عدن قريب من سنتين و ثمانية أشهر فنسأل الله عز و جل أن يجعل هذه الزيارة خالصة لوجهه نافعة لعباده مؤديه إلى مرضاته و الذي نتواصى به في هذا المجلس أن نكون محافظين على شرع الله متمسكين به في الشدة و الرخاء و في السراء و الضراء و في حال الشباب و الشيخوخة فإن من حفظ دين الله حفظه الله عز و جل و في الحديث المشهور عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«**يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك** » قال العلماء :المراد بحفظ العبد لله عز و جل أن يحفظ أوامره فيعمل بما استطاع منها و أن يحفظ نواهيه فيجتنبها و هذا هو المعنى المراد إذ أن الله غني عن العالمين و إن ما أفترض علينا ما أفترض من الأوامر و النواهي للإختبار و الإبتلاء كما قال الله عز و جل عن إبراهيم عليه السلام

﴿ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ قال العلماء الكلمات التي ابتلى الله عز و جل بها إبراهيم هي الأوامر و النواهي فوفى إبراهيم عليه السلام بما أمر الله عز و جل و اجتنب ما نهى الله عز و جل فامتدح الله عز و جل بقوله :

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾

فأكرمه الله و أراه في نفسه و في ذريته ما يدل على كرامته عند الله سبحانه و تعالى

و هكذا يريه يوم القيامة ما يدل على ذلك؛ففي الدنيا أراد المشركون أن يحرقوه بالنار فعادوا منكوسين على رؤوسهم إذا حفظه الله سبحانه و تعالى فقال :

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ و بشره الله عز و جل بالولد بعد إذ بلغ من الكبر عتيا

و هذا من كرامته عليه الصلاة و السلام إلى غير ذلك من الكرامات فالشاهد أن إبراهيم حفظ الله فحفظه الله و هكذا أنبياء الله حفظوا الله فحفظهم الله و هكذا أتباع الأنبياء حفظوا الله فحفظهم الله قال الله عز وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾

فوالله لو استقمنا على دين الله و شرعه لرأينا أثر ذلك في حفظ الله لنا من أعدائنا من الجن و الإنس من الرجال و النساء من الكبار و الصغار لأن الله عز و جل هو وليك إذ كنت طائعا له

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

لماذا تولتهم الشياطين و صرفتهم عن الهدى ؟

السبب أنهم كانوا بعيدين عن شرع الله فلم يمتثلوه و لم يعظموه بينما المؤمنون حفظوا الله و امتثلوا شرعه فكان سبحانه و تعالى ولي لهم رفع قدرهم و أعلى منزلتم و أعزهم أعزهم بعد إذ كانوا أذلة ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا فيا أيها المسلمون علينا إمتثال شرع الله بحفظ حدوده و العمل فيما أوجب علينا و التقرب إليه بما استحب لنا و البعد عما حرم علينا فإننا بذلك نشتري أنفسنا من الله و إن المتأمل في ساحة المسلمين الآن يجد أن المسلمين قد إبتلوا بأمراض كثيرة و تجمل في مرض الشهوات و مرض الشبهات فدفعهم هذان المرضان إلى ترك كثير من الواجبات و إرتكاب كثير من المحرمات فما ترى من البدع

و المحدثات في دين الله عز و جل فهي ناتجة عن الشبهات التي يوحيها الشيطان إلى أوليائه و الواجب على المسلم أن يتعلم من دين الله عز و جل ما يكون عون له بعد الله

سبحانه و تعالى في دفع الشبهات فيلتزم بكتاب الله سبحانه و تعالى و سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقدم عليهما قول قائل و لا فعل فاعل بل إن الأمر لله و القول قول الله و المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

عباد الله إن الشبهات أودت بكثير من الناس إلى حبائل الشيطان فعظموا القبور

و شيدوها وعبدوها من دون الله بل صرفوا لها النذور و دعوها من دون الله و تعلقت بها قلوبهم و طافوا بها و ذبحوا لها إلى غير ذلك مما يتعاطاه عباد القبور و معظموا القبور إن الشبهات دفعت كثيرا من المسلمين إلى التمزق والتحزب و ترك إمتثال الكتاب

و السنة، إن الشبهات دعت كثير من المسلمين إلى أكل الربا و إلى غير ذلك مما حرم الله عز و جل عليهم بدعوى أن الربا ما هو إلا فوائد، إن الشبهات دعت كثيرا من المسلمين إلى التشبه بالكافرين بدعوى أن هذه من القشور و ليست من اللباس فعصوا الله عز

و جل و تشبهوا بأعداء الله عز و جل فالواجب على الإنسان أن يتعلم دين الله سبحانه و تعالى حتى يكون عنده ملكة يدفع بها كل شبهة تطرأ عليه و لا تظن أن الشبهات تنتهي بوقت أو بزمن فلا تزال تستمر على الناس حتى يعبد أناس من هذه الأمة اللات

و العزى و حتى يتبع أناس من هذه الأمة الدجال مع أنه مكتوب بين عينه كافر يقرأه كل مؤمن فعن أبي أمامة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال «**إن قبل خروج الدجال**

ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله، فلا تنبت خضراء، فلا يبقى ذات ظلف إلا هلكت؛ إلا ما شاء الله ، قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليل والتكبير، والتحميد، ويجزئ ذلك عليهم مجزأة الطعام» وصححه الألباني في صحيح الجامع. فالشبهات تتطرأ على الناس فيلتبس الأمر عليهم إلا من رحم الله و إذا بهم قد مرقوا من الدين و العياذ بالله و لخطر الشبهات منع الله عز وجل من القدوم على الدجال بل و من مجالسة المبطلين قال الله عز و جل :﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾و عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ – رضي الله تعالى عنه – أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللهِّ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ»**.

صححه الشيخ الألباني، كما في صحيح سنن أبي داود.

فكن على حذر إياك أن تجالس المبطلين و عليك بمجالس أهل السنة و بدروسهم

و بخطبهم و بمحاضراتهم فإن لم تستفد منهم شئ سلمت من شرورهم بخلاف غيرهم فإنك قد لا يسلم لك دينك و لا إستقامتك و لهذا حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجالستهم وفي حديث عائشة رضي الله عنها الذي في صحيح مسلم أنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم». كن على حذر عظيم على دينك هذا هو مصدر هو سعادتك في الدنيا و الأخرة كيف تضيعه في مجالسة من يفسدك في دينك و من يحثك عن دينك و من يكون سببا في بغضك لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يكون سبباً في بعدك عن شرع الله سبحانه و تعالى فعليك بمجالسة الصالحين قال الله عز و جل عن نبيه الكريم﴿ واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾و احسن انواع المجالسة المجالسة التي تسمع فيها كلام الله سبحانه

و تعالى يتلى و سنة النبي صلى الله عليه وسلم تعلم أنظر أيها الناس إلى ثمرة مجالس أهل السنة و الجماعة في المساجد و في غيرها من أماكن الإجتماعات التي يعلمون فيها الناس الدين الحنيف تجد بركة في الأبناء و بركة في الزوجات و بركة في الأباء و بركة في الصغار

و بركة في الكبار محبة لدين الله عز و جل و اذا احب الله عز و جل قوما أكرمهم و رفعهم و دافع عنهم و أما مرض الشهوات فإنه كذلك يفتك الأمة لقد إنتشر و العياذ بالله شرب الخمور و فعل الزور و الزنا و غير ذلك من أنواع الفساد الخلقي و الأخلاقي نعوذ بالله سبحانه و تعالى فعلى المسلم أن يحارب نفسه و أن يجاهد نفسه في البعد عن كل معصية يعصى الله عز و جل بها .

وعند الإمام أحمد عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه بلفظ: **المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله.**

هذا أعظم الجهاد أن تجاهد نفسك أن لا تقع في الزنا أو في الخمر أو في الفاحشة أو في الغيبة أو في النميمة أو في الكذب أو في البهت أو في أكل الربا أو في أكل مال اليتيم أو في قطيعة الأرحام أو في كذلك عقوق الوالدين إلى غير ذلك من المعاصي التي يتعاطاها الناس فتحتاج إلى أن تجاهد نفسك و تعصرها على الحق عصرا و تعودها على طاعة الله عز و جل فالنفس إذ ترك و هواها شردت و العياذ بالله ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ فالهوى سبب لزيغ الإنسان عن طاعة الله عزو جل و أعظم ما يوقع الإنسان في الشرور و في الآثام هو هوى

النفس و ميل النفس و إتباع الشيطان فعلى الإنسان أن يحصن نفسه عن المعاصي فيما أمر الله عز و جل به من الأوامر و بما نهى الله عز و جل عنه من النواهي و الزواجر عن

أبو أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ قال: إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : **يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه فقال ((ادنه فدنا منه قريبا)) قال : فجلس قال ((أتحبه لأمك ؟)) قال : لا والله جعلني الله فداءك قال ((ولاالناس يحبونه لأمهاتهم)) قال ((أفتحبه لابنتك))قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال ((ولاالناس يحبونه لبناتهم)) قال : ((أفتحبه لأختك)) قال : لا والله جعلني الله فداءك قال ((ولاالناس يحبونه لأخواتهم)) قال ((أفتحبه لعمتك)) قال : لا والله جعلني الله فداءك قال ((ولاالناس يحبونه لعماتهم))قال : ((أفتحبه لخالتك)) قال : لا والله جعلني الله فداءك قال ((ولاالناس يحبونه لخالاتهم)) قال : فوضع يده عليه وقال ((اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه))** فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء فالإبتعاد عن الشهوات أمر مطلوب و يستطيع الإنسان أن يصرف عنها بأمور الأمر الأول بمجالسة الصالحين و يبتعد عن مجالسة أصحاب الشهوات أو الشبهات فإن المجالسة لهم سبب لجره إلى الشر و كذلك عليه أن يجالس أهل الصلاح كما أمر أن يبتعد عن أهل الفساد يجالس أهل الصلاح و عليه أن يعتصم بالله سبحانه و تعالى

و بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم و عليه أن يتضرع إلى الله عز و جل بالدعاء و كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول :(**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**))وفي حديث زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال**. رواه مسلم.

و من ذلك معرفة سوء خاتمة من يعمل ومن يقترف الشبهات و الشهوات إن لم يتداركه الله عز و جل بتوبة نصوحة فإنه إن مات على البدعة أو مات على المعصية يخشى عليه قال صلى الله عليه وسلم: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**» رواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه. و قال صلى الله عليه وسلم:«**وإنما الأعمال بالخواتيم** » و مما تدفع به هذه الشبهات و الشهوات له التوبة إلى الله عز و جل و الإستغفار مما سبق فإذا تاب إلى الله توبة نصوحة عسى أن يوفقه الله عز و جل فيما بقي من عمره و عسى أن تبدل سيئاته حسنات كما قال الله عز و جل و أخبر بقوله ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

و مما يدفع به هذه الأمراض ملازمة الطاعات فإن الإنسان إذا أقبل على طاعة الله عز و جل لا سيما بعد تحقيق التوحيد و حافظ على الصلاة فيرجى من الله عز و جل أن يحول بينه و بين كل ذنب و معصية:﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ﴾و النبي صلى الله عليه وسلم حدث عن رجل يصلي من الليل و يسرق في النهار فقال النبي صلى الله عليه وسلم **لعله أن تنهاه صلاته**

فالعبادة من أسباب نصرت الإنسان على الهوى و على الشيطان و من أسباب حفظ الله عز و جل لهذا العبد إلى غير ذلك من الأمور التي يستطيع الإنسان في سلوكها أن يتحصن من الشهوات و يتحصن من الشبهات و أعظم ذلك ما تقدم بيانه و هو ملازمة العلم و العمل به حتى يلقى العبد ربه و هو على ذلك بهذا نكون قد إنتهينا من هذه الكلمة المختصرة و نسأل الله عز و جل أن يوفقنا و إياكم و يسددنا و إياكم و أن يصلح شأننا و شأن جميع المسلمين و الحمد الله رب العالمين

تفريغ كلمة الشيخ أبو محمد عبد الحميد الحجوري الزعكري التي بعنوان : أسباب البعد عن الشبهات والشهوات